المئات من رجالها، وكميات هامة من الاسلحة والمؤن، الى المناطق المحتلة حديثاً، في الشهور القليلة التي تلت الحرب، على امل اقامة القواعد الغوارية المتنقلة ومناطق الاسناد (القواعد الارتكازية) خلف الخطوط الاسرائيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة. ولعله يصح اعتبار هذه التجربة محاولة لتكرار خبرة ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩، من خلال تشكيل الدوريات المطاردة وتنظيم انتفاضة شعبية مسلحة. وبذلك، جسدت المحاولة انتقالاً من القيمة الرمزية الى القيمة الفعلية للنشاط العسكري في التفكير الفلسطيني. الا ان الاستراتيجية العسكرية والامنية الاسرائيلية المضادة هزمت تجربة «القواعد الارتكازية» بسرعة، مما اضطر حركة المقاومة الى نقل مركز ثقلها، مجدداً، الى تأسيس قاعدة جغرافية خارج فلسطين هذه المرة، في الاردن وسوريا ولبنان.

كثيراً ما تغيب الأهمية الحاسمة لهذه الحقبة في الادبيات الغربية، وحتى العربية، التي تتناول تاريخ المقاومة الفلسطينية. بل وتكاد ان تغيب هذه التجربة ، بحجمها الحقيقي، عن الوعي الفلسطيني، على الرغم من وقعها الشامل على محتوى واتجاه الفكر الاستراتيجي الفلسطيني برمّته. فالمصطلحات التي ظهرت ما بين ١٩٦٥ ـ ١٩٦٧، مثل «حرب العصابات» و «الحرب الشعبية»، باتت هي السائدة بعد حرب الايام الستة، وساد معها مفهوم الاعتماد على الذات والمشاركة الجماهيرية في العمليتين، السياسية والعسكرية. وبذلك انتقلت التنظيمات الفدائية، عملياً، من فكرة فانون عن الاثر «المنظف» للعنف على النفسية المضطهدة، الى شعار ماوتسي تونغ بأن «السلطة السياسية تنبع من فوّهة البندقية». غير ان الهزيمة المبكرة لاستراتيجية القواعد الارتكازية في الضفة الغربية أدت الى تضاؤل الآمال الجادة لدى القادة الفلسطينيين في ان الخيار العسكري المستقل يكفي لسحق اسرائيل وتحرير فلسطين، وذلك على الرغم من مظاهر النمو الكمي الهائل لحركة المقاومة في فترة «شهر العسل» في ١٩٦٨ ـ ١٩٧٠.

لعله لم يتم التوصل، في تلك الحقبة، الى مثل هذا الاستنتاج بهذه الدرجة من الوضوح والتحديد. لكن الحقبة تلك فسّرت، الى حد بعيد، التباين الواسع في السياسات المتبعة من قبل «التنظيمات المتطرفة» (سواء «أيسارية » كانت ام تابعة للبعثين السوري والعراقي) و «فتح» حيال العلاقة بالسلطات الاردنية؛ اذ طالبت التنظيمات المتطرفة بقلب العرش الهاشمي، ونادى آخرون بالتعايش. أي ان الادراك أن الخيار العسكري كان يعاني من كوابح ضمنية اساسية قد عدّل موقف «فتح» ودفعها نحو التمهل والتروي، مقابل بعض التنظيمات الاخرى، التي رأت أن قوتها المتفرغة والجماهيرية تتنامى، فاقتنعت بحيوية تجربتها السياسية والعسكرية وبامكان تحدي خارطة التجزئة والحماية الغربية ـ الاسرائيلية لها . غير انه يلاحظ ان شعور «فتح» بوجود حالة جمود استراتيجي لم يمنعها من زيادة المبادرة العسكرية، من خلال فتح الجبهات الجديدة عبر الحدود السورية واللبنانية وتصعيد العمليات ضد اسرائيل. فقد ظلت قيادة «فتح» تبحث في السبل لايجاد مصادر أخرى للقوة والنفوذ الفلسطينيين، تجسّد وتحفظ وتطور الانجازات السابقة.

نقصد القول، مما تقدم، ان تصعيد الكفاح المسلح في فترة ١٩٦٨ ـ ١٩٧٠ ـ اي بعد هزيمة القواعد الارتكازية وتشديد القبضة الاسرائيلية على منطقة الحدود ـ هدف، في الدرجة الاولى، تحقيق اثر نفسي معنوي. وقد دل على ذلك اصرار بعض القادة العسكريين على تنفيذ معدلات مرتفعة جداً من الدوريات القتالية، مهما كانت طبيعتها وجدواها ونتائجها، واصدار البلاغات المضخمة، على الرغم من تضاؤل العائدات الفعلية .

اذن، تبلور، تدريجاً، نمط صبغ العمل العسكري الفلسطيني برمّته منذ ١٩٦٨ تقريباً: سارعت